دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	موانئ وقرى البحر الأحمر في كتب الرحالة: دراسة في النشاط الاقتصادي في القرن الحادي عشر الهجري = السابع عشر الميلادي: رحلة العياشي أنموذجا
المصدر:	مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
الناشر:	مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر والاتحاد الدولي للمؤرخين
المؤلف الرئيسي:	القحطاني، منى بنت حسين بن علي آل سهلان
المجلد/العدد:	ع8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2021
الشهر:	يونيو
الصفحات:	127 - 148
رقم MD:	1148212
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	البحر الأحمر، التنمية الاقتصادية، التخطيط العمراني، الرحلة العياشية، الموروث الحضاري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1148212

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

موانئ وقرى البحر الأحمر في كتب الرحالة
(دراسة في النشاط الاقتصادي في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي)
(رحلة العياشي أنموذجاً)

أ.د.منى بنت حسين بن علي آل سهلان القحطاني
أستاذة التاريخ الإسلامي- جامعة الأميرة نورة- المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد وتتبع مظاهر النشاط الاقتصادي في موانئ وقرى البحر الأحمر خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وذلك بالاعتماد على الرحلة العياشية الموسومة: بـ «ماء الموائد» (1072-1074هـ/1661-1663م) للرحالة الأديب أبي سالم عبدالله محمد العياشي، وتكمن أهمية رحلته وقيمتها العلمية في المشاهدات والموضوعات المتنوعة التي حفظتها رحلته، حيث دوّن فيها وصفاً لطرق الحج ومنازله، ووصف الموانئ والقرى والمناطق الساحلية التي مر بها، وأوجه النشاط البشري، والازدهار الاقتصادي فيها، والأسواق، والمباني، والبضائع، والأسعار، وموازين البيع والشراء، كما ذكر مخاطر الطريق وامتداده والمسافات بين المناطق، وذكر الأشجار والنباتات والمناطق الزراعية، كما توقف كثيراً عند مصادر المياه والآبار، إضافة إلى رصد الظواهر الاجتماعية والسكانية، والحركة العلمية، والمشاهد العمرانية، فأصبحت هذه الرحلة نموذجاً اقتدى بالعياشي من جاء بعده.

Abstract:

The study aims to investigate and track the aspects of economic activity in the ports and villages of the Red Sea during the 11th Hijri corresponding to the17th Gregorian depending on Arrihla Al Ayachiia known as Ma' al-Mawa'id (Table Water) (10721074-H/16611663-G) by Abu Salim 'Abd Allah ibn Mohammed al-'Ayyashi the well-known travel writer, author, and scholar. The significance and scientific value of Arrihla Al Ayachiia are demonstrated in the different scenes and subjects included and narrated. Whereas he described the roads and roadhouses of the pilgrimage (Hajj), ports, villages and the coastal areas he has been through, and the aspects of human activity and econom-

ic prosperity including markets, buildings, goods, prices, selling and buying scales, as well as describing the road dangers, extensions and distances between regions. He also described the trees, plants, and agricultural areas, as well as expanded on the details of water sources and wells, in addition to investigating the social and population phenomena, scientific activity and urban scenes. Arrihla Al Ayachiia is considered to be a model looked up to by whoever came after.

المقدمة:

تعد كتب الرحلات مصدراً مهماً من مصادر التاريخ، فهي سجل حافل وغني بالمعلومات الحضارية عن حياة الشعوب في مختلف الأزمنة، وفي شتى البقاع التي زارها الرحالة، وتكمن أهميتها في مدى التفاعل بين صاحب الرحلة، وبين ما شاهده، ووقف عليه، ورصده عن أحوال الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم، وكذلك والأحوال والمعتقدات الدينية، والأحداث السياسية، خلال مروره على المدن والمناطق، وهي رؤية ومشاهدات بعين الرحالة تختلف عن مشاهدات المقيمين بها؛ لذلك نجد أن الرحالة ينقلون الصورة والحدث بأسلوب أكثر مصداقية وقُرباً من الواقع إلى حد كبير، لهذا فإن القيمة العلمية التاريخية لكتب الرحلات تكمن في أنها مصادر كتبت بأقلام أصحابها، وهم شهود عيان، ومعاصرون للحدث، إضافة إلى أنها غنية بمعلومات حضارية وسياسية قد لا توجد في مصادر التاريخ الأخرى. وقد شكلت الرحلة أهمية كبيرة لدى مسلمي الغرب الإسلامي منذ بداية الدعوة الإسلامية، حيث حفظت لنا المكتبة التاريخية عدداً كبيراً من الرحلات المغربية سواء رحلات لغرض الحج والعمرة، أو رحلات علمية وغيرها من الأسباب الدافعة للرحلة. وكان الرحالة المغاربة ينتهزون فرصة سفرهم لبلاد الحجاز للقيام بتأليف كتبهم واصفين الصعاب التي واجهتهم، والطرق التي سلكوها، والأراضي التي مروا بها، حتى وصولهم للأراضي المقدسة؛ لذلك تعد مصادر مهمة عن تاريخ الحجاز، وجسراً للتواصل بين المغرب الإسلامي، والحجاز والمشرق الإسلامي[1].

ومن أشهر هذه الرحلات رحلة أبي سالم العياشي، التي انطلقت سنة (1072هـ/1661م)، من مدينة سجلماسة ببلاد المغرب، لتصل إلى القاهرة مروراً بكل من الجزائر، وتونس، وطرابلس، والقاهرة متوجهاً نحو هدفه الأسمى مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ثم انتقل بعد ذلك إلى أهم المدن الشامية، غزة، والرملة، وبيت المقدس، والخليل، وقد سجل العياشي مشاهداته في كل المدن والبلدان التي زارها. وتعتبر رحلة العياشي المسماة «ماء الموائد»

نموذجاً للرحلة الحجازية التي ألفها علماء المغرب الإسلامي، وجاءت شاملة للكثير من الموضوعات المتنوعة مما أعطاها أهمية وميزة علمية من بين كتب الرحلات؛ فهي رحلة موسوعية شاملة، كما وصفها العياشي بأنها: ديوان علم وأدب، وتاريخ وأخبار وآثار، ترجم للعديد من الأعلام، وكشف عن عدد من المواقف والرجال، والطرق والزوايا، والكتب والأشعار، وسجّل الوقائع والأحداث والمعارك، وصوّر الحياة اليومية والأسواق، والبيع والشراء، والتعاملات وغيرها، فجاءت رحلة شاملة موضوعية عن خصائص القرن الحادي عشر الهجري الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية[2]. ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة للمشاركة بها بإذن الله ضمن أبحاث موسوعة البحر الأحمر، والتي ستكون بعنوان: موانئ وقرى البحر الأحمر في كتب الرحالة (دراسة في النشاط الاقتصادي في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي) «رحلة العياشي أنموذجاً».

وتتناول الدراسة الموضوع من خلال عدد من النقاط:

- المقدمة.
- التمهيد: التعريف بأبي سالم العياشي.
- المطلب الأول: طرق الحج والتجارة في رحلة العياشي ووصف مخاطرها.
- المطلب الثاني: موانئ وقرى البحر الأحمر كما وردت في رحلة العياشي.
- المطلب الثالث: التجارة والأسواق في موانئ وقرى البحر الأحمر.
- المطلب الرابع: مصادر المياه ومناطق الزراعة في موانئ وقرى البحر الأحمر.

أبي سالم العياشي نسبه ونشأته:

هو أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي، ينتسب إلى قبيلة عياش إحدى القبائل البربرية التي تسكن حدود الصحراء في الجنوب الشرقي للمغرب[3].

وُلد سنة 1037هـ/1628م في قرية تازروفت الواقعة في الأطلس الكبير[4]، ويلقب بـ «عفيف الدين»، وصفه الأفراني بقوله: « هو أحد من أحيا الله بهم طريق الرواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل، وجدد من فنون الأثر كل رسم محيل» [5]، نشأ في بيئة صالحة صقلت موهبته، ورعت مداركه، وقوة شخصيته[6].

تلقى أبو سالم العياشي تعليمه الأول منذ نعومة أظفاره بزاوية العائلة فدرس مبادئ اللغة العربية، والعلوم الدينية، كذلك اهتم بمطالعة علوم الفقه، والفرائض، والأصول، جالس علماء الصوفية وأخذ منهم، ثم سافر إلى فاس والتحق بجامع القرويين حيث تعلم العلوم الشرعية كالحديث، والفقه[7].

لم يكتفِ أبو سالم العياشي بما أخذه عن علماء المغرب فتاقت نفسه إلى الشرق للالتقاء بعلمائها، والأخذ عنهم والتتلمذ على يديهم، وقد شرح ذلك بقوله: «وكنت في أول معاناتي للطلب، وتشبث بأذيال الأدب، كلفاً بالرواية، ومستروحاً إليها من أثقال الدراية، فأخذت عن الأعلام الذين أدركتهم بالمغرب قليلاً، فلم يشفِ ما لديهم مما أجد غليلاً، ولا أبرأ عليلاً، لأنهم استغنوا عما غاب بما ظهر، فاقتصروا من الكتب على ما اشتهر، دون المسلسلات والأجزاء الصغار وعوالي الإسناد وغرائب الأخبار»[8]، لذا شد رحاله إلى المشرق في ثلاث رحلات، التقى خلالها بعلماء مصر، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وفلسطين، وطرابلس، والإسكندرية[9].

توفي يوم الجمعة 18 من شهر ذي القعدة سنة 1090هـ/1679م متأثراً بمرض الطاعون وعمره 53 سنة[10].

رحلاته:

كانت أولى رحلاته إلى المشرق سنة 1059هـ/1649م قام بها وهو شاب في الثانية والعشرين من عمره، أما رحلته الثانية قام بها في سنة 1064هـ/1653م، والرحلة الثالثة عزم عليها سنة 1069هـ/1658م، إلا أنه لم يتمكن من الخروج وقتها لظروف أمنية بسبب فتنة حدثت في المغرب، ولما استقرت الأمور سنة 1072هـ/1661م عزم على التوجه للحج فخرج مع الركب المغربي يوم الخميس ربيع الأول سنة 1072هـ/1661م، واستمرت رحلته حوالي سنة ونصف، حيث عاد إلى بلاد المغرب يوم الأربعاء 17 شوال سنة 1074هـ/1663م[11]. وتعتبر هذه الرحلة الأخيرة من أهم الرحلات بالنسبة للعياشي، حيث انطلق من مدينته سجلماسة متنقلاً بين مدن المغرب وصولاً للقاهرة، ثم سار بطريق ساحل البحر الأحمر فوصل للعقبة السوداء، وينبع وجبل الرمل، ورابغ، وعقبة السكر، ومر الظهران، والتنعيم حتى وصل إلى مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، ثم انتقل إلى أهم المدن الشامية، وغزة، والرملة، والقدس، ودمياط، ومصر، والإسكندرية، وطرابلس حتى وصل إلى بلاد المغرب في شوال سنة 1074هـ/1663م[12].

أهمية رحلته وقيمتها العلمية:

تعتبر رحلة العياشي والتي ألف فيها كتابه «ماء الموائد» من أهم الرحلات المغربية وأكثرها انتشاراً وتنوعاً وغزارة بالمعلومات، حتى أصبحت مصدراً مهماً لمن جاء بعد العياشي في الاستفادة منها[13]، وقد حدد العياشي الهدف من تأليفه لرحلته ومنهجه فيها، حيث قال في ذلك: «وقصدي من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب ممر وفكاهة، وإن وجد الأمران معاً فذاك أدعى لنشاط الناظر فيها، سيما وإن كان صاحب تلوين، وأما صاحب التكوين فكل شيء عنه موقع ونفع، لا يوجد في غيره والله المسؤول» [14].

أما القيمة العلمية لرحلة العياشي المدونة فتكمن في مضمونها الغني بالنهوض، والأشعار، والتراجم والأخبار، مما أضفى عليها الطابع الموسوعي، كذلك أضفى الهدف الديني السامي على الرحلة والمتجهة إلى الأماكن المقدسة وهجاً دينياً وروحانياً، فقد سجلت هذه الرحلة الكثير من الأحداث والعلوم، والقصائد الشعرية، واللمحات التاريخية، وانفردت دون غيرها من كتب الرحلة بعدد من النصوص، والرسائل، والخطب، والإجازات، فقد حاول العياشي أن تكون رحلته شاملة لكل علوم عصره، ويعطي صورة حقيقية عن الظروف السياسية، والاقتصادية، والعلمية، وقد لخص فوائد رحلته بقوله: «وأعددت لفوائد الرحلة عدداً كثيراً، فاتسع المجال في لقاء الرجال، ومذاكرة الإخوان في كل أوان، ومحاضر الأدباء، ومجالسة الظرفاء، وحصلتْ في تلك الرحلة المباركة ما حصلتْ لي به مع المرتحلين المشاركة، فعزمت على تدوين ذلك في مجموع تحصل به الإفادة لمن طلب الاستفادة، فإذا زبدة فائدته، وثمرة عائدته أسماء المشايخ وذكر مروياتهم، وذكر شيء من مصنفاتهم، وقد استوفيت جل ذلك لمن طلبه مني، ورام أخذه عني في كتاب اقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر، فانصرف العزم عن كتابة ما سواه؛ إذ هو بدونه قليل جدواه، وصمّمتُ العزم على الرجوع، وجعلته أكبر همي في اليقظة والهجوع...» [15]، فنجد أن العياشي ينتقل في كتابه بين العلوم والمعارف إلى الأفكار والمعتقدات الدينية مروراً بالمشاهد الاجتماعية، فتعمق في الحياة اليومية للناس نتيجة لمخالطتهم والدخول معهم إلى الأسواق، والمساجد، والوقوف على المكتبات، والاحتفالات الدينية، والاجتماعية، ولم يغب عن باله كذلك تدوين ما شاهده ولمسه في الجانب الاقتصادي من خلال وقوفه على المعاملات التجارية، والبيع والشراء، وعمليات السمسرة، كما أشار إلى العوامل الطبيعية والبيئية وتأثيرها على الناحية الاقتصادية، والمياه كالآبار والعيون والأمطار، كما كانت رحلته فهرسة للشيوخ والعلماء الذين لقيهم خلال رحلته.

هذا وقد ترك العياشي تراثاً علمياً قيماً لا يزال بعضه مخطوطاً، فكتب في التوحيد، وعلم العقائد، والتصوف، وفي الحديث والسيرة والمديح النبوي، والفقه، والرحلات، والفهارس، ومنها: [16]

- ماء الموائد المعروف بالرحلة العياشية إلى الديار النورانية.
- التعريف والإنجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر.
- إظهار المنة على المبشرين بالجنة.
- المدائح النبوية.

طرق الحج والتجارة في رحلة العياشي ووصف مخاطرها

أشارت كتب الرحلات إلى الطرق التي سلكتها قوافل الحجيج الذاهبة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهي الطرق البرية، والطرق البحرية، فالطرق البرية هي التي يمر فيها ركب الحجاج القادم من بلاد الشام، ومصر،

والمغرب وغيرها من البلاد الإفريقية، والطرق البحرية وهي التي تعبر فيها ركب الحجاج للوصول إلى الموانئ البحرية عبر ساحل البحر الأحمر، والتي توقف عندها الكثير من الرحالة ووصفوها وتحدثوا عنها في رحلاتهم، كما أن هذه الموانئ البحرية استخدمت كطرق تجارية بحرية للتجارة عبر السفن التي تحمل البضائع والمؤن والبشر[17].وقد نالت طرق الحج البحرية والبرية اهتماماً من الرحالة أبي سالم العياشي، حيث توقف كثيراً عند وصف الطرق وأحوالها، وطبيعتها الجغرافية والمناخية، ووصف مخاطرها والصعوبات التي تواجه المسافرين والمارين والحجاج الذين يسلكون هذه الطرق.

استمر الركب المغربي في طريقه البحري حتى وصلوا إلى منطقة تسمى النابعة[18]، وأشار إليها العياشي بقوله: «فلما تجاوزنا المدينة وخلفناها وراء ظهورنا، والبحر عن يميننا، نزلنا بعد الظهر بالنابعة»، ونجد هنا دقة الوصف لاتجاه الركب.والنابعة وادٍ كبير ذي رمل فيه أحساء[19] كثيرة تزيد على المائة، وهي أرض غنية بالمياه الجوفية الباردة العذبة، والتي وصفها العياشي بقوله: «بل أينما حفرت مقدار وقفة أو أقل وجدت ماءً حلواً بارداً في غاية الحلاوة كأنه ماء النيل»[20]، وهذه الأرض محطة تقف عندها الرواحل والناس لتستقي منها إبلهم، ويأخذون منها حاجتهم.

غادر الركب النابعة وسلك طريقاً بين جبال وأودية من الرمل، وهو طريق ممهد لا صعوبات فيها ولا مشقة، وكان الجو فيه بارداً جميلاً، والمياه عذبة مما عكس تأثيرها على الناس، «والناس ماشون على مهل منبسطون في غاية البسط»[21]، وقد ذكر العياشي أن هذا الدرب مخالف لبقية الدرب في سائر أوصافه، حيث إن طريق الدرب به خوف وحر شديد والمياه مالحة[22].

أما طريق العقبة[23] فقد كانت مختلفة تماماً عن طريق النابعة، فهي عقبة بها صعوبات وأرض مقفرة موحشة طويلة وعريضة معطشة، لدرجة أنه قد تموت فيها أرواح من شدة العطش، وقد يلجأ الناس إلى عصر ما في بطون الإبل من الفرث ليشربونه[24]، وفي موضع آخر من الرحلة عاد العياشي واسترسل في وصف العقبة حيث قال: «وهي عقبة كؤود، صعبة الهبوط والصعود، ولم لا وهي عقبة أيلة المشهورة، إلا أن الطريق بها منحوتة قد سويت في أكثر الأماكن الصعبة وبنيت صافاتها ببناء متقن»[25].

وكذلك قوله في وصف جبال العقبة، ثم سرنا إلى العقبة، «وما أدراك ما العقبة، فكم بها من حذرات ومضيق وجبال في شكل الحمرة والبياض، وهي عقلة في الطريق، وصعود وانهباط، وعلو وانحطاط»[26]، بعد ذلك يأخذ طريق العقبة في الاتجاه ناحية الجنوب على هيئة مسالك ضيقة بين البحر والجبال، وتكاد تتسع لمرور جمل وراء جمل، وقد شبه العياشي هذا الطريق بالصراط إلا أنه غير مستقيم»[27].

أما منطقة بندر النخيل والتي وصلها العياشي صباحاً، فيبدو أنها منطقة كبيرة حيوية حيث وجد بها العياشي سوقاً كبيرة فيها أنواع كثيرة من الفواكه الشامية والتي جاء بها أهل غزة كالتفاح، واللوز وغير ذلك، وتعد أرضها غنية بالمياه والآبار[28].

وصل العياشي موضعاً يقال له عرقوب البغلة[29]، ووصفها بأنها عقبة صعبة، وعلى جانب الطريق يوجد مسجد غير مسقف، بناه أحد أمراء الحج منذ زمن طويل، وكان لهذا الأمير آثار حسنة في طريق الحجاز، منها إزالة الأحجار من الطرقات، وقطع الأشجار، وحفر بعض الآبار، وتجديد البعض الآخر منها، ووصفه العياشي بصاحب الهمة العالية في تخليد المآثر حتى أجمع الناس على الدعاء له والثناء عليه[30]، وقد تكون تلك الإصلاحات ابتغاء الأجر والمثوبة من الله، أو للدعاية وكسب محبة الناس، أو لأسباب سياسية[31].

ومما سبق نستنتج أن الأفراد وأمراء الحج كانوا حريصين على القيام بإصلاحات الطرق البرية، وإنعاشها وترميم الآبار فيها، وبناء الحصون وغيرها من الإصلاحات لجذب الناس إليها.

ومن مخاطر الطريق ما ذكره العياشي عن تلصص الأعراب وحرابتهم في منطقة العقبة، حتى أن الناس تهيأوا لذلك وأخذوا حذرهم بإخراج أسلحتهم خوفاً من مباغتة اللصوص، حيث إنهم كانوا غالباً ما يهاجمون الناس في هذه المنطقة لصعوبتها[32].

استمر العياشي في وصف مخاطر الطريق وكثرة تعرض القوافل والمسافرين لهجمات اللصوص التي تشتد أذيتهم وتعظم نكايتهم، فقال في ذلك: «ثم ارتحلنا من العقبة وسرنا في مسلك ضيق بين البحر والجبل، ولا يمر فيه إلا جمل إثر جمل كأنه متن الصراط، إلا أنه غير مستقيم، كما يخلو هذا المحل من لصوص يتعرضون للركب»[33].

وذكر العياشي أن الخوف يزداد في طريق الساحل خاصة في المناطق التي تخلو من سكن الأعراب، فيكثر الخوف ويعظم الضرر، خاصة عند نزول الليل، مما يستدعي خروج أمير الركب ومعه الرماة لحماية الناس الذين يذهبون للوادي لسقي الماء فيأخذون حاجتهم وترتوي إبلهم، ثم يرجعون لمحلاتهم بعد العشاء[34].

كما شبه العياشي بعض المرتزقة الذين صادفهم بطريقه بالشرذمة حيث كانوا يبيعون العلف، وقد أشار إلى أن أشد اللصوص الأعراب، وأكثرهم جرأة على السرقة هم الأعراب الموجودون في منطقة وادي العقيق على طريق العقبة الساحلي، وذكر أن اسم المنطقة لا يتناسب مع أخلاق عربه حيث قال: « فعدلنا يميناً إلى الوادي المسمى على ألسنة الحجاج وادي العقيق، ولا مناسبة بين الاسم والمسمى، بل تسميته بوادي العقوق أنسب لشدة جرأة أعرابه على السرق، فهم أجرأ الناس على ذلك»[35]، كما أن هذه المنطقة من أكثر مناطق الحجاز الساحلية وعورة بالطريق وصعوبة العيش، لقلة المؤنة والأعلاف للماشية، فيبدو أنها منطقة جدباء، إضافة لشراسة أهلها حتى أصبحت مَـثَـــلاً للحجاج، فيذكر العياشي: «ومن أمثال الحجاج: لا رجال إلا رجال الحوراء، ولا جمال إلا جمال الدوراء، ويعنون

بالدوراء الرجعة، يعني لا يعد صابراً من الجمال إلا من صبر في حال الرجوع من الحجاز، إذ هو آخر السفر ومحل قلة العلف»[36].

فيبدو أن هذا الطريق أصبح مقياساً لشدة صبر الرحالة الحجاج المارين عليه، حيث إنه آخر طريق السفر صعوبة وقلة العلف، وبالمقابل كانت تستوقف العياشي الطرق الممهدة التي لا خوف فيها ولا حر فيشير لها[37].

ولم يغفل العياشي عند وصف الطريق أن يصف حالة الجو، كما جاء في وصفه الطريق إلى الخضيراء[38]، حيث ذكر أنه وادٍ كبير ضيق بين جبلين لا سعة فيه فإذا اشتد الحر حجبت الجبال عن الوادي هواء البحر، فينعكس غربياً، أو شرقياً صاعداً من الوادي، أو منهبطاً فيصير سموماً محرقاً ولا ماء هناك مما يؤدي إلى موت الناس، أو قد يتسبب في تسمم الأبدان لقبح الهواء مع حرارته، كما أن المؤنة تتلف، وكذلك الماشية وآلاف الخلق في أسرع مدة، ويتغير الهواء بعد أن يقطع الركب السبع وعرات وخرجوا إلى متسع من الأرض فيصبح الهواء بحرياً حتى وصلوا إلى ينبع[39] على الساحل[40].

ويسمى هذا الوادي كذلك وادي النار وأكد العياشي على ذلك عندما قال: «وهذا الوادي قد طابق الاسم فيه المسمّى»[41]، دلالة على شدة الحر فيه.

كما وصف العياشي الطريق إلى الحوراء[42]، فذكر أن الطريق إليها يمر على العقبة السوداء وهي عقبة صغيرة في أرض سوداء ذات أحجار وأشجار، وهي أرض سهلة فيها تباين للجبال وهي تشبه جبال الحجاز السود، وشاهد فيها الأشجار على ساحل البحر، ومياهها حفائر على الساحل، فيه ملوحة قليلة، وما حفر حديثاً أجود ونسبة الملوحة فيه أقل، ويفضل عدم الإكثار من الشرب منه لما يسببه من إسهال فلا يشرب منه إلى للضرورة[43].

لم يغفل العياشي ذكر حساب المسافات لكل مدينة ومنطقة يصل إليها، وكان دقيقاً في إعطاء حساب لتقدير هذه المسافة، وقد جاءت بعدة صيغ نذكر منها على سبيل المثال قول: «وميقات المسير إليه عشر ساعات على التمام»[44]، وقوله: «ومدة المسير إليه اثنتي عشرة ساعة بالتحديد»[45]، «ومدة المسير ثماني عشرة ساعة محررة»[46]، وقوله: «مدة المسير ثلاث عشرة ساعة وخمس من الدرج في علم الصناعة»[47]، وقوله: «ومدة المسير إليها ست عشرة محررة، وخمس من الدرج مقدرة»[48]، «ومدة المسير إليها سبع عشرة وثلثي ساعة بالإجماع»[49]، وقوله: «ومدة المسير إليها تسع ساعات بتمامها، وثلث ساعة ثابتة في أحكامها»[50]، «ومدة المسير إليها أربع عشرة ساعة من الزمان حررها أهل الإتقان»[51].

موانئ وقرى البحر الأحمر كما وردت في رحلة العياشي

وصل الركب المغربي إلى مدينة السويس المصرية[52]، التي وصفها بأنها مدينة صغيرة ذات أسواق، ومساجد، ووكالات مستطيلة على شاطئ البحر (الأحمر) المالح الذي يأتي من الهند، كما ذكر أنها مقامة على جبال شامخة، وهي مدينة تجارية ترسو على ساحلها السفن التجارية المحملة بالبضائع القادمة من جدة، ومكة، واليمن، ومنها تنقل إلى باقي المدن المصرية براً[53].

ومن أشهر الموانئ التي وردت في رحلة العياشي «العقبة»، و«المويلح»[54]، و«الوجه»[55]، و»رابغ»[56]، و«جدة»[57].

فالعقبة وصفها العياشي بأنها قرية تقع على شاطئ البحر على سطح جبل، تشتهر بكثرة الآبار والنخيل، مما ساعد في ازدهارها اقتصادياً فانتعشت الأسواق بها والتي تخدم الحجاج، ويحضرها الكثير من الأعراب وأهل غزة[58]، كما تميزت العقبة بوجود قلعة حصينة بها[59].

أما ميناء المويلح، والذي نزله الركب المغربي في يوم الجمعة الثالث عشر من شوال، وأقاموا به قرابة يومين فوصفه العياشي بأنه: يقع على شاطئ البحر، كما أن الناس خزنوا ما يحتاجونه من الإياب إلى العقبة،[60] وبندر المويلح وصف العياشي ماءها، بأن فيها آباراً كثيرة وبساتين حسنة ونخل، وفيها حصن كبير عليها أمير وعسكر، ويخزن بالحصن الميرة والفول، كما توجد على باب الحصن سوق كبيرة متنوعة البضائع فيجد بها المحتاج ما يريده[61]، وهذا يدل على أن المويلح في تلك الفترة كانت منطقة تجارية مهمة، حيث اشتغل أهلها بالتجارة مع الحجاج يشاركهم فيها الأعراب، كما يدل على ذلك وجود السوق الكبيرة فيها، وتعدد وتنوع البضائع حتى صارت نقطة التقاء الصادرات والواردات التجارية.

ومرسى المويلح ذكره العياشي بقوله: «وبه مرسى حسنة تنزل بها السفن القادمة من السويس، والقادمة من جدة ومن القصيِّر[62]»[63]، أما الهواء في المويلح فوصفه العياشي بأنه: «بحري بارد»[64].

وبالجملة من يوم خروج الركب من مصر إلى المويلح لم يصادفهم حر شديد، ولا مشقة فادحة، ولا خوف موحش، ولا عطش مؤلم، وختم كلامه بقوله: «ولم نزل نتعرف من الله الخير والبركة وغاية الرفق واللطف في أنفسنا وأموالنا ودوابنا، نسأل الله أن يكمل علينا بالخير»[65].

أما ميناء الوجه لم يذكر العياشي عنه إلا القليل، حيث اختصر الكلام عنه بأنه مركز لنزول الركب، وتخزين ما يحتاجونه في الإياب من طعام وعلف، فيبدو أنها من محطات التخزين والتزويد بالمؤنة[66].

كما يوجد في ميناء الوجه كذلك طائفة من العسكر لهم أمير، ويعتبر آخر البنادر كما أسماها العياشي في طريق الركب، وليس بعده عمارة إلى ميناء ينبع[67].

وصل ركب الرحلة المغربية إلى ميناء ينبع، وهي أول عمارة ببلاد الحجاز على الطريق[68]، وقد وصفه العياشي بأنه مرسى على البحر ترسو به السفن المحملة بالبضائع المتجهة للمدينة المنورة[69].

وفي موضع آخر من الرحلة ذكر العياشي وصفاً عن ميناء ينبع فقال: «به حدائق، ونخيل، وعيون بين زروع تسيح وتسيل، وكان به سور منيع، وجامع مفرد وسيع، وبيوت فسحة الرحاب، فآل أمرها إلى الخراب، وبه الآن سوق للحجاج يأخذون منه الذخيرة عند

الاحتياج، وبه أفران، وحيتان كبار، وعِشش تِسقى فيها القهوة من أيدي الجواري»[70]، كما أن جميع أسواق ينبع هي خارج المساكن، ويعم نفعها الساكن والظاعن[71].

كما وصف العياشي جبل رضوى المطل على ينبع بأنه أكبر جبال تلك المنطقة، كما أشار إلى مسجدها الجامع المسمى بمسجد «العشيرة»، وهو الذي صلى فيه الرسول ﷺ، كما توجد بالقرب من المسجد عين جارية توضأ منها العياشي عند دخوله للمسجد للصلاة[72].

وصلت رحلة العياشي إلى مدينة رابغ، وهي قرية فيها نخل، وآبار كثيرة، في وادٍ يأتيه السيل من بعيد، وتزرع فيه مقانٍ كثيرة، ودخن، وذرة، وتعتبر أرض رابغ من أخصب أودية الحجاز[73].

أما مدينة جدة فكان أكثر ما شد انتباه العياشي فيها هو تأنق رجالاتها في المجالس التي يبالغون في كنسها وتنظيفها ورش الماء أمامها، حيث اعتاد الناس فيها على الجلوس في مجالس مشرفة على الشاطئ، كما وصف أثاثها بأنها من الكراسي الكبيرة التي تشبه الأسرّة المصنوعة من الخشب والألياف، كما أن أهلها اعتادوا على بناء دكاكينهم ووكالاتهم التجارية على شاطئ البحر، واستخدموا في بنائها الأخصاص، وقد روعي فيها السعة وانفتاحها من جهتين الأولى من ناحية البحر، والثانية من ناحية البر[74].

ومن وصف العياشي لأهل جدة ورجالها يتضح لنا أنهم على جانب كبير من التطور والرقي في معيشتهم ومساكنهم، وحتى في طريقة بنائهم لدكاكينهم ووكالاتهم.

التجارة والأسواق في موانئ وقرى البحر الأحمر

كانت حركة التجارة نشطة على امتداد الطرق البرية، والموانئ الساحلية للبحر الأحمر، حيث كانت السفن ترسو على سواحلها محملة بالبضائع والمعدات، كما أن هذه الطرق يقصدها المسلمون المتجهون لبلاد الحرمين، وأيضاً التجار حاملين معهم بضائعهم من بلدانهم. وقد انتشرت على طول هذه الطرق الكثير من الأسواق التجارية، وكانت هذه الأسواق عبارة عن عدة دكاكين متقاربة، وكانت حوانيت كل مهنة متجاورة، أما الحوانيت وملكيتها كانت للتجار، وأرض السوق متاحة للجميع يأتي إليها التجار ويعرضون بضائعهم ولا يدفعون عليها أية رسوم[75].

وقد وصف العياشي أسواق جدة التي كانت ممتدة على طول شاطئ البحر، والتي كان أكثرها مبنية من الأخصاص، كما أنها كانت واسعة ولكل منها واجهتان، الأولى جهة البحر، والثانية جهة البلد، كما أن هذه الأسواق تستقبل كافة أنواع السلع والبضائع عن طريق وكالات تجارية[76].

أما أسواق مدينة السويس فكانت مشابهة لأسواق جدة عبارة عن حوانيت ووكالات ممتدة على طول البحر، وهي مليئة بالبضائع التي لا تُستقصى والسلع التي لا تُحصى، وتصلها من جدة، ومكة، واليمن عن طريق السفن التي ترسو على سواحلها، ثم تنقل إلى مصر عن طريق البر. وقد ذكرها بقوله: «هي مدينة صغيرة ذات أسواق ومساجد ووكالات

مستطيلة على شاطئ البحر المالح الذي يأتي من الهند»[77].

ومن الأسواق الدائمة والموسمية في درب الحجاز، وصف العياشي أسواق العقبة، والتي ذكر أنها كبيرة وبضائعها متنوعة يأتي بها الأعراب مثل الإبل، والغنم، والسمن، والعسل، والعلف للدواب، كما يحضر إليها أهل غزة[78]، الذين يُحضرون معهم الفواكه وتباع في الأسواق بأسعار رخيصة ربما لكثرة الإنتاج، كما وجد العياشي أن الفول رخيص مقارنة بما هو في مصر[79].

وفي موضع قريب من العقبة يسمى شرفات بني عطية، «وبنو عطية هم عرب هذه البلاد كلها في هذا الوقت»[80]، يوجد به سوق نزله العياشي وتسوق فيه، ووجد بعض نساء العرب يبعن اللبن وغيره، وقد يأتيهم بعض العرب بالماء ليبيعونه للركب المار عليهم[81].

ويوجد في ميناء المويلح أسواق دائمة لخدمة الحجاج، ولتزويد المراكب التي ترسو على مرساها، وكذلك تستقبل البضائع القادمة إليها من السويس وجدة والقصيَّر، كما يوجد سوق آخر يقام على باب الحصن الكبير الذي عليه أمير وعسكر، وقد خُصص هذا السوق لخدمة الحجاج وتزويدهم بكافة احتياجاتهم من الأكل وغير ذلك[82].

كما أن أسواق المويلح تصلها البضائع الطيبة التي شبهها العياشي بالنفيسة لتنوعها ولذتها، فيقول: «وإلى سوقها تساق نفائس البضائع من ثمار تجلبها العرب وزلابية عجينها كاللجين، فإذا قليت أشبهت الذهب»[83]، كما أن مخازن القلعة تودع بها الودائع.

وتعتبر قرية ينبع النخل مركزاً لتزويد الحجاج وأهالي القرى المجاورة بما يحتاجونه من الماء، والثمار، والفواكه والرطب، حيث توجد بها سوق كبيرة تُجلب إليه الكثير من البضائع، ووصفه العياشي بقوله: «فغالب أهل القرى يأتون إلى هذه القرية التي ينزل بها الحاج للتسوق، وتعمر هناك سوق كبيرة يوجد فيها غالب المحتاج، وتُجلب إليها البضائع والسلع ذوات الأثمان، ويجلب إليها من الثمار والفواكه والحبوب والفول شيء كثير...» [84].

ويُفهم من كلام العياشي عن «ينبع النخل» أنها كانت عماداً اقتصادياً لباقي القرى المحيطة بها[85]، حيث أشار إلى أن معظم أهالي القرى يأتون إليها للتسوق مع الحجاج المارين بها، كما أن الحجاج يخزنون فيها مؤنهم إلى حين العودة[86].

كما يشتهر سوق ينبع النخل بكثرة بيع الرطب الذي أكل منه العياشي، ووصفه بالجيد، حيث كان نزولهم في أول وقت جذاذ النخل[87].

أما قرية «قُديد»[88] يوجد بها سوق تباع فيه الفواكه، والخضروات، التي تسقى بمياه الأمطار، وهي تباع بأسعار رخيصة[89]، كما صادف العياشي سوقاً عند مروره بـ :مر الظهران»[90] تباع فيه أصناف مختلفة من الفواكه والخضار[91].

ومما سبق نستنتج أن الأسواق كانت منتشرة على طول ركب الحجاج، منها الأسواق الكبيرة الدائمة في الموانئ كالعقبة، والمويلح، وينبع، كما أن هناك أسواقاً صغيرة موسمية منتشرة في القرى الصغيرة، كما نلاحظ تنوع هذه الأسواق بالبضائع وجودتها، حيث أشاد بها العياشي، كما أن الأسعار جاءت متفاوتة ما بين القليلة والمتوسطة.

مصادر المياه ومناطق الزراعة في موانئ وقرى البحر الأحمر:

تطرق العياشي كثيراً لمصادر المياه والري في المناطق التي زارها على طريق ساحل البحر الأحمر، فعند وصوله لمنطقة النابعة والتي وصفها بالوادي الكبير ذي الرمل، وجد أرضها مليئة بالأحساء الكثيرة والتي تزيد على المائة، وتخزن المياه العذبة الباردة حيث تحتفظ ببرودتها في باطن الأرض، وهي مصدر سقيا للناس والدواب، فيقول في وصف مياه النابعة: «وهي وادٍ كبير ذي رمل فيه أحساءٍ كثيرة تزيد على المائة، بل أينما حفرت مقدار وقفة أقل وجدت ماءً حلواً بارداً في غاية الحلاوة كأنه ماء النيل، فلربما يتوهم أنه أحسن منه، وسقى الناس منه إبلهم، وأخذوا من الماء حاجتهم...» [92].

كما أشار العياشي لمياه العقبة حيث وجد بها مياهاً عذبة أنقذت الناس من العطش في تلك السنة، كما يوجد بها بئر كبيرة مياهها عذبة لا تنفذ يسقى منها الإنسان والدواب، وربما كانت الركب المارة بها تناوب في الاستسقاء من هذه البئر، حيث الزحمة عليها بالرغم من وجود غيرها من الأبيار، ولكن هذه البير هي أكبرها، كما وصفها العياشي بقوله: «وهناك بندر حصين فيه بئر ماؤه عذبة، كبيرة لا تترح أبداً، يسقى منها بالبقر إلى برك خارج الحصن، وهي ثلاثة مثل البِرك التي في عجرود، إلا أن هذه أعظم منها، وقد وجدنا الماء فيها فاضلاً عن الركب المصري، وأخذ الناس منه حاجتهم...» [93]، وعلى امتداد طريق العقبة توجد مغائر ماؤها عذب فرات[94].

وفي موضع يقال له «ظهر الحمار» تكثر به المياه الجوفية وهي أحساء منتشرة في وسط حدائق النخيل، وماؤها رطب وكان يسمى في زمن العياشي بـ «مغائر النخل»[95].

وكما هو الحال في منطقة «مغائر شعيب» عليه السلام حيث تكثر به الأحساء بين جبلين، وصف العياشي ماءها فقال: «وماؤها طيب جداً حلو خفيف نافع»[96]، كما تكثر في أرض «مدين» المياه الغزيرة والتي ربما يكون مصدرها الأمطار[97].

كذلك أرض «عيون القصب» التي وصف العياشي ماءها بقوله: « وهو ماء حار في مضيق بين جبلين في محل كثير القصب والديس، وفي أعلى الوادي نخل وأرض صالحة للحرث...» [98].

أما «وادي الأراك» فقد شبه العياشي ماءه بأنه كالزعفران لطيبه، ولكنه قليل مما يؤدي إلى تزاحم الناس عليه فيقع بينهم قتال[99].

كما يوجد في منطقة تسمى «الأكره» وهي قريبة من مياه الوجه، وادٍ كبير تأتيه السيول من بلاد بعيدة، وقد وصفه العياشي بأنه ماء قبيح، إلا أن يكون بعد سيل فيحسن[100].

أما مياه الحوراء فهي عبارة عن حفائر على ساحل البحر، وفيها ملوحة قليلة، كما لاحظ العياشي أن المياه التي حُفرت بعهد قريب هي أطيب في مذاقها من المياه التي طال الحفر إليها واستخراجها، كما أنها قد تكون مُضرة للاستخدام البشري، حيث تسبب الإسهال المفرط كغيرها من مياه «عجرود»، و«الأزلم»، و«الأكره»[101].

كما تكثر العيون العذبة والبرك في مناطق مختلفة على طول طريق الساحل، كميناء ينبع[102]، وبدر[103]، وميناء رابغ التي وجد بها بركة كبيرة قد بنيت مملوءة ماء، وقد أعانت الناس في سقي الإبل، وفيما يحتاجون إليه في إحرامهم من غسل ثياب والاغتسال[104]، كما تكثر فيه حفائر المياه العذبة[105].

كما انتشرت الآبار على طول الطريق الساحلي الذي سلكه الركب المغربي، حيث كان بناء الآبار وإصلاحها من الأعمال المستحبة لدى الكثير من رجال الدولة، وموظفيها، وأمراء الحج، وبعض الأفراد؛ وذلك ابتغاء الأجر والثواب من الله، أو قد يكون لأسباب ومطامع سياسية، أو رغبة في كسب محبة الناس وخدمتهم[106]، ومن هذه الآبار ما وقف عليه العياشي في منطقة العقبة الساحلية، حيث كانت للأمير رضوان المتولي آثار حسنة في طريق الحجاز، منها قطع الأشجار وإزالة الأحجار من الطرقات، وحفر بعض الآبار، وتجديد بعض البرك، وغيرها من الأعمال الخيرية التي طار بذكرها الناس، كما أثنى عليها العياشي بقوله: «فجزاه الله خيراً، فلقد كانت له همة عالية في تخليد المآثر، فكم بالغ في الثناء عليه كل لسان، وأعلن بالدعاء له كل إنسان...» [107].

كما أن ازدهار الطرق وانتعاشها تعتمد على وفرة المياه والآبار فيه، فقد تُسلك بعض الطرق الطويلة بسبب وفرة المياه والعيون والآبار، بينما قد تهمل طرق أخرى أقصر منها بسبب قلة الماء فيها[108]، كما كثير من القرى والمدن الصغيرة تنتعش وتنهض وتزدهر الأسواق بالبيع والشراء، والحركة البشرية بسبب وفرة المياه، وهذا ما وقف عليه العياشي عند وصوله لإحدى قرى العقبة من البندر، حيث كان بها آبار كثيرة فازدهرت الأسواق بها، يحضرها أهالي غزة والأعراب، حيث يعرضون بضاعاتهم فيها[109]، وتعد هذه الآبار مصدر سقيا للناس القادمين من مختلف الجهات[110].

ويمتد انتشار الآبار حتى ميناء المويلح والتي قال عنها العياشي: «ولم نزل نساير إلى بندر المويلح ونزلناه بعد العصر، وماؤه كثير، وفيها آبار كثيرة وبساتين حسنة ونخل»[111].

توقف الركب المغربي بعد خروجهم من منطقة الأزلم في مكان يسمى عند العرب «اصطبل عنتر»، وكان فيه ثلاثة آبار محكمة البناء، بنيت بحجر منحوت، وصف العياشي ماءها بقوله: «وماؤها حلو إلى الغاية إلا أنه خنين أنزحته الدلاء بسرعة، وبات الناس ليلتهم يتربضونه تربضاً ولأياً بعد لأي ما كفاهم للشرب»[112]، وعند وصول العياشي إلى وادي الأراك القريب من البحر وجد عدة آبار بعضها حسن وبعضها خشن، كما أن فيها بئراً بناها الأمير رضوان في آخر أيامه، واثنتين بناهما مملوكه عندما تولى إدارة الحج بعد مولاه، والبرك الثلاث ملاصقة لسور البدر أوسط هذه الآبار وأكبرها هي للأمير رضوان[113].

وذكر العياشي أنه عند مروره على «وادي العقيق»[114]، ومن ثم «النبط»[115]، وجد بها أربعة آبار محكمة البناء بالحجر، ماؤها عذب غزير بارد، كما أكد أن غزارة أودية مياه الدرب وعذوبتها سببها كثرة الأمطار، فلو أمطرت السماء مرة في السنة لوجد الماء، وقد جذب

هذا الوادي الكثير من الناس المسافرين والمارين ليسقوا من الوادي ويرتحلوا[116].

كما وجدت الآبار كذلك في ميناء «رابغ»[117]، و»قرية عسفان»، حيث يوجد بها عدد من الآبار والتي منها البئر التي يُذكر أن النبي ﷺ تفل فيها، فصار ماؤها حلواً للغاية، وقد شرب منها العياشي تبركاً بآثاره ﷺ[118]، كما أشار العياشي إلى البئر التي وجدها في منطقة خليص والتي تفل فيها سيد البشر محمد ﷺ، فوصفها بقوله: «وهي بئر من شرب من مائها زال عنه الضرر»[119].وبما أن الزراعة دائماً مرتبطة بالماء فأينما وجد الماء وجدت الزراعة، وقد شاهد العياشي الكثير من المناطق الزراعية على درب الحجاز الذي سلكه الراكب المغربي، حيث انتشر في هذا الطريق أشجار النخيل والأراك، والطلح وغيرها من الحقول والبساتين التي ذكرها العياشي في كتابه، كما ذكر طريقة ريها وسقيها، فأشار إلى كثرة النخيل واشجار الأثل في منطقة العقبة[120]، كذلك وفرته في «حفائر النخيل» الذي وصف رطبه بالجيد[121]، وتكثر منابت النخيل والحدائق والبساتين على امتداد ساحل البحر، إضافة لزراعة الفواكه في المناطق الداخلية حيث مياه الآبار والأودية العذبة[122].

أما منطقة «مغائر شعيب» فقد أشار العياشي بوجود النخيل، وبعض من الفواكه كالعنب الأسود الذي هو في «غاية الحلاوة»، وكذلك الرمان، كما تكثر زراعة الفواكه بمدينة «مدين»، وهي بلدة على ساحل البحر حيث تتوفر بها المياه العذبة»[123].

أما ميناء «المويلح» فشهد ازدهاراً زراعياً، حيث يشتهر بكثرة المزارع والبساتين، ووفرة النخل ذات الرطب الجيد[124]، أما الأودية الممتدة بعد ميناء المويلح فتكثر بها أشجار الأراك؛ ولهذا سميت الأودية باسم «وادي الأراك»، على عدة أودية[125].

كما تنتشر على امتداد درب الحجاز الأنواع المختلفة من الأشجار منها شجر الطلح التي وصفها العياشي بقوله: «وهي من أنواع الكلأ الذي تراعاه الإبل كثيراً»[126]، وشجر الأثل والمقل[127]، وكذلك الأشجار الملتفة[128].

أما ميناء «ينبع» فقد اشتهر بكثرة زراعة النخيل؛ لذلك سميت بينبع النخل، كما أن ما تنتجه من الرطب هو من أجود وألذ أنواع الرطب[129].

كذلك منطقة «رابغ» التي تكثر بها زراعة النخيل، والدخن، والذرة، كما تزرع بها مَقاتٍ كثيرة، ووصفه العياشي بأنه من أخصب أودية الحجاز[130]، وتمتد المساحات الزراعية من «رابغ» حتى قرية «قُديد» التي تكثر بها زراعة الفواكه، والمقاتي التي تكون زراعتها إذا جاء السيل، حيث إن أكثر المقاتي في بلاد الحجار إنما تزرع على مياه الأمطار في الأماكن التي يستنفع بها الماء، كما أخبر العياشي أن كثيراً منها بنيت في البرية من غير استنبات، كما يزرع الحبحب (البطيخ) والذي لا يكاد ينقطع شتاءً ولا صيفاً إلا في السنة الجدباء التي لا تهطل بها الأمطار[131].

ومما سبق نستنتج أن أرض الساحل في أغلب مناطقها هي أرض صالحة للزراعة، والوجود البشري، والحيواني حيث إن أراضيها قد اختزنت المياه الجوفية العذبة، وتعد

تربتها غنية خصبة للزراعة، وكذلك وفرة مياه الأمطار وجريان الأودية، وحرارة الجو، واتساع المناطق الرعوية، كل ذلك ساعد على ازدهار الزراعة، ووفرة المحاصيل، والجذب السكاني لها.

الخاتمة:

وبنهاية هذه الدراسة، ومن خلال رصد وتتبع ما كتبه الرحالة المغربي أبو سالم العياشي خلال رحلته إلى بلاد الحرمين في القرن الحادي عشر الهجري، يمكن تحديد أبرز النتائج التي خرجت بها الدراسة:

- الازدهار والانتعاش الاقتصادي لطريق ساحل البحر الأحمر والمدن والقرى الواقعة عليه؛ وذلك نتيجة لعبور الحجاج والمسافرين عليها حيث بنيت على امتدادها المساجد، والحصون، والآبار، والبرك، والدور، كما أقيمت فيها وعلى امتدادها الأسواق التجارية والدكاكين ليستفيد منها المار على هذه الطرق.
- هناك عدد من العوامل ساهمت في النشاط البشري، وقيام الزراعة، بسبب وفرة مصادر المياه كالمياه الجوفية، والآبار، والأودية، والعيون.
- الازدهار التجاري الذي حظيت به موانئ البحر الأحمر والمدن القريبة كميناء جدة، والمويلح، وينبع، وغيرها نتيجة لرسو السفن التجارية المحملة بالبضائع على شواطئها، وكذلك لكثرة المسافرين من مختلف الأقطار الإسلامية حاملين معهم بضائعهم ومنتجاتهم لبيعها في بلاد الحجاز، فنهضت الأسواق الكبيرة الدائمة والموسمية، التي تتوفر فيها البضائع الطيبة والتي شبهها العياشي بالنفيسة.
- دقة العياشي وحرصه أثناء وصفه درب الرحلة المغربية، بذكر المسافات، وتحديد الساعات بين كل قرية وقرية، والمدن التي مر عليها، وجاءت بعدة صيغ وعبارات واضحة ودقيقة.
- أعطى العياشي وصفاً عن تصميم الأسواق وبناء الدكاكين والوكالات في القرن الحادي عشر، والتي بنيت على الساحل بجانب بعضها البعض ومفتوحة من الجانبين جهة البحر، وجهة المدينة، كما ذكر المواد المستخدمة في بنائها.
- لم تخلُ طرق الحج من المخاطر والصعوبات التي يتعرض لها الحجاج، والمسافرون، والمارون عليها، منها كثرة اللصوص والمجرمين، ووعورة الطريق وصعوبته وعدم استوائه، كذلك ظروف الطقس من حرارة شديدة وقلة المياه، والتي قد تسببت في موت الدواب والبشر.

المصادر والمراجع :

(1) إبراهيم بن إسحاق الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، مطبعة المتنبي، بيروت، 1389ه/1969م.

(2) أبو الظاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المغانم المطآبة في معالم طابة، د.ط، د.ت.

(3) البلادي، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، 1402ه/1982م.

(4) البلادي، عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1402ه/1982م.

(5) بنهاض عبدالكريم، القيمة اللغوية للرحلات المغاربية الحجازية، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2017م.

(6) صالح العلي، إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث، مج(21)، 1968م، ج(2-3-4)، ص32-33.

(7) عواطف بنت محمد نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (دراسة تحليلية نقدية مقارنة) دارة الملك عبدالعزيز، 1429ه

(8) العياشي، أبو سالم عبدالله محمد العياشي، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، (تحقيق: د. سعيد الفاضلي، د. سليمان القرشي)، ط1، 2006م.

(9) العياشي، اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط، رقم ق208.

(10) الكتاني، عبدالحي بن عبدالكبير، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، 0اعتناء: د. إحسان عباس)، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1402ه/ 1982م.

(11) محمد الصغير محمد المراكشي، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، الطبعة الحجرية.

(12) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

المصادر والمراجع:-

(1) بنهاض عبدالكريم، القيمة اللغوية للرحلات المغاربية الحجازية، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2017م، ص220؛ عواطف بنت محمد نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (دراسة تحليلية نقدية مقارنة) دارة الملك عبدالعزيز، 1429ه، ص39.

(2) العياشي، أبو سالم عبدالله محمد العياشي، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، (تحقيق: د. سعيد الفاضلي، د. سليمان القرشي)، ط1، 2006م، مج1، ص14-13.

(3) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص29؛ الكتاني، عبدالحي بن عبدالكبير، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (اعتناء: د. إحسان عباس)، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1402ه/ 1982م، مج2، ص832.

(4) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص30.

(5) محمد الصغير محمد االمراكشي، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، الطبعة الحجرية، ص191.

(6) الكتاني، فهرس الفهارس، مج2، ص833.

(7) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص30-29؛ الأفراني، صفوة من انتشر، ص192.

(8) العياشي، اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط، رقم ق208، ص101-100.

(9) العياشي، اقتفاء الأثر، ص101-100.

(10) الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص833.

(11) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص7.

(12) عبدالكريم، القيمة اللغوية للرحلات المغربية والحجازية، ص144-142.

(13) نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص53.

(14) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص358-357.

(15) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص54-53.

(16) الأفراني، صفوة من انتشر، ص192؛ انظر: الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص835-834؛ نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص59.

(17) نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص247؛ إبراهيم بن إسحاق الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، مطبعة المتنبي، بيروت، 1389ه/1969م، ص333.

(18) النابعة: اسم الفاعل من نبع ينبع، موضع بقرب مدينة الرسول ﷺ.

– ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ج5، ص942.

(19) أحساء: هو جمع حسي، وهو الماء القليل، الذي تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل.

– لحموي، معجم البلدان، ج1، ص111؛ البلادي، عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 2041ه/2891م، ص89.

(20) ماء الموائد، مج1، ص275.

(21) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص275.

(22) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص275.

(23) العقبة: منزل في طريق مكة بعد واقصةّ وقيل القاع لمن يريد مكة، وهو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ منه، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل والعقبة.

– الحموي، معجم البلدان، ج4، ص431.

(24) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص276-275.

(25) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.

(26) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283.

(27) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283.

(28) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص276.

(29) عرقوب النخلة: والعرقوب جمعها عراقيب، وهو عقب مؤثر خلف الكعبين، والعرقوب من الوادي، منخفض فيه التواء شديد.

– الحموي، معجم البلدان، ج4، ص59.

(30) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص280.

(31) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص333.

(32) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص281؛ وانظر: ص285.

(33) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283.

(34) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.

(35) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص295.

(36) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص295.

(37) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص275.

(38) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص296.

(39) ينبع: مأخوذة من لفظ ينبع الماء، حصن به نخيل وماء وزروع، وهي بين مكة والمدينة المنورة، وقيل إن ينبع من أرض تهامة غزاها النبي ﷺ، وتكثر فيه الأودية الغزيرة، وقال عنها الفيروزآبادي: «كانت تسكنها الأنصار وجهينة وليث، وهي اليوم لبني حسن بن علي، وفيها عيون مجذاب غزيرة، ولها منبر وهي قرية غناء».

– لحموي، معجم البلدان، ج5، ص054؛ أبو الظاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المغانم المطآبة في معالم طابة، د.ط، د.ت، ص044؛ البلادي، معجم المعالم الجغرافية، ص043-143.

(40) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص296.

(41) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص296.

(42) الحوراء: ذكرها القضاعي بأنها كورة من كور مصر القبلية في آخر حدودها من جهة الحجاز، وهي مرفأ على ساحل البحر الأحمر الشرقي، ترسو به السفن المصرية إلى المدينة المنورة، مياهها مالحة وليس بها زرع، لم يبق بها اليوم سوى آثار في شمال أملج على بعد 31 كيلو.

– الحموي، معجم البلدان، ج2، ص613؛ البلادي، معجم المعاجم الجغرافية، ص67.

(43) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص295.

(44) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص279.

(45) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص282؛ وانظر: ص311.

(46) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص288.
(47) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص289.
(48) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص292.
(49) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص293.
(50) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص298.
(51) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص298.
(52) السويس: بلدة تقع على ساحل بحر القلزم من نواحي مصر، وهو ميناء أهل مصر إلى مكة والمدينة المنورة، والمسافة بينه وبين القسطاط سبعة أيام في برية معطشة، تحمل إلى ميناء السويس الميرة من مصر، ثم تنزل في المراكب ويتوجه إلى الحرمين.
– الحموي، معجم البلدان، ج3، ص682.
(53) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص275-274.
(54) المويلح: اللفظ هو تصغير مالح، وهو ميناء على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، شمال مدينة ضبا، فيها إمارة وقلعة أثرية لا تزال آثارها قائمة.
– بلادي، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، 2041هـ/2891م، ج8، ص792-892.
– الوجه: هي منطقة تقع على ساحل البحر مأهولة بالسكان فيها إمارة وميناء جوي وبحري، ومبنى فيها محطة لتحلية البحر.
– البلادي، معجم معالم الحجاز، ج9، ص031.
– رابغ: وادٍ من دون الجحفة يقطعه طريق الحاج من دون عزور، ورابغ مأخوذ من العيش الناعم، أو الذي يقيم على أمر ممكن له.
– الحموي، معجم البلدان، ج3، ص11.
(55) جدة: ميناء على ساحل البحر الأحمر، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال، وبين جدة وساحل الجحفة خمس مراحل، وهي اليوم من أكبر موانئ المملكة العربية السعودية على ساحل البحر الأحمر. وذكرها الأصطخري بقوله: «وجدة فرضة أهل مكة على مرحلتين».
– الحموي، معجم البلدان، ج2، ص411-511؛ الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارس(ت643ه)، المسالك والممالك، (تحقيق: محمد عبدالعال)، دار القلم، القاهرة، 1831ه، ص32.
(56) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص281.
(57) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص281.
(58) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص286.
(59) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.
(60) القصير: بلفظ تصغير قصير، موضع قرب عيذاب بينه وبين قوص فرضة الصعيد خمسة أيام وبينه وبين عيذاب ثمانية أيام، وفيه مرفأ سفن اليمن. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص367.
(61) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.
(62) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.
(63) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص291.

(64) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص294.
(65) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص292.
(66) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص292؛ وانظر: 299.
(67) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص297
(68) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص299 - 300.
(69) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص300.
(70) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص297.
(71) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص306.
(72) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص405.
(73) صالح العلي، إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث، مج(21)، 1968م، ج(4-3-2)، ص33-32.
(74) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص405.
(75) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص274.
(76) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص281.
(77) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283.
(78) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص284.
(79) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص284.
(80) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.
(81) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص289.
(82) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص296.
(83) نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز، ص294.
(84) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص297.
(85) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص296.
(86) قرية قُديد: بضم القاف وفتح الدال المهلة موضع قرب مكة، وذكرها في السيرة النبوية في طريق الهجرة، وهي وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة المنورة على نحو من 120 كيلاً، ثم يصب في البحر عند القضيمة، وفيه عيون وقرى كثيرة لقبائل حرب وبني سليم. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص313؛ البلادي، معجم المعالم الجغرافية، ص249.
(87) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص307.
(88) مر الظهران: يعتقد أنه ثنية ظهر، الذي يتردد في السيرة، وهو وادٍ مشهور يقع شمال مكة، ويصب في البحر جنوب جدة بقرابة عشرين كيلاً، وفيه العيون والقرى منها حداء، والجموم، وبحرة.
– البلادي، معجم المعالم الجغرافية، ص391-782-882.
(89) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص308.
(90) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص275.
(91) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص276.
(92) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283.

(93) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283.
(94) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص284.
(95) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص284.
(96) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.
(97) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص291.
(98) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص294.
(99) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص294-295.
(100) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص299.
(101) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص304.
(102) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص306.
(103) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص309.
(104) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص333.
(105) ماء الموائد، مج1، ص280.
(106) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص441.
(107) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص281.
(108) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283.
(109) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.
(110) ماء الموائد، مج1، ص290.
(111) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص291.
(112) وادي العقيق: هو وادي بالقرب من ناحية المدينة المنورة، وفيه عيون ونخيل، وفي منطقة الحجاز عدة أودية تسمى وادي العقيق.
– البلادي، معجم معالم الحجاز، ج6، ص531.
(113) النبط: ويقصد به الماء المستخرج بالحفر، وهو مكان يقع بين ينبع ووادي الحمض شمال ينبع.
– البلادي، معجم معالم الحجاز، ج6، ص91-02.
(114) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص295.
(115) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص306.
(116) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص308.
(117) ماء الموائد، مج1، ص310.
(118) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283-282-281-276.
(119) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283.

(120) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص283-284.
(121) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص284.
(122) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص285.
(123) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص293.
(124) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص294.
(125) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص282.
(126) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص294.
(127) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص299.
(128) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص306.
(129) العياشي، ماء الموائد، مج1، ص307.